

آداب الرعي ونبوادر الوعي (دراسة تحليلية)

أ. مشارك - قسم الأدب والنقد والبلاغة
كلية اللغة العربية
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

المستخلص:

تناول البحث موضوع آداب الرعي ونبوادر الوعي. هدف البحث إلى إبراز منزلة الرعي ودورها في التنمية وإعمار الأرض وترقية الحياة، وإدارة مفاصل الدولة ورعاية التقدم الشامل للمجتمع الإنساني، وإرساء دعائم الاقتصاد. نبعت أهمية البحث من النظر للمكانة التاريخية للرعي وما تركه من معاني ومدلولات أرست نظم الحياة بين الأمم، فكانت عصب العيش وصمام أمان إدارتها، أنتهج البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. خرج البحث في خاتمته بعدة توصيات؛ منها: الرعي أشرف المهن وحرفة الأنبياء والمرسلين ونبوادر الوعي ومدرسة تدريب الحكام والقادة، كما أنه من أهم مثل الحياة من الصدق والأمانة والإخلاص والجد وتحقيق للإصلاح الاجتماعي. الرعي إدارة للنقل وأداء المناسك وركيزة للدفاع وتمكين الدين العدل، ونشر العلوم والمعارف. وأوصى البحث بعدد من التوصيات؛ منها نوصي بالوقوف على معاني الرعي وأساليبه في القرآن والسنة لمعرفة المزيد. نوصي بالاطلاع على الأدب العربي لمعرفة أبعاد وأهمية الرعي عند العرب. كلمات مفتاحية: الرعي، التنمية الاقتصادية، الأدب العربي، القرآن الكريم، السنة النبوية..

Shepherding Literature and Awareness Predate (Descriptive Study)

Dr.Siddiq Abdul Rahman Ibrahim Musa/ Co-professor

Abstract:

The research dealt with the subject of grazing etiquette and signs of awareness. The aim of the research is to highlight the status of grazing and its role in development, reconstruction of the land, improving life, managing the joints of the state, nurturing the comprehensive progress of human society, and laying the foundations of the economy. The importance of the research stemmed from looking at the historical status of grazing and the meanings and implications it left that established the systems of life among nations, and it was the backbone of livelihood and the safety valve of its management. The research adopted the inductive and descriptive analytical approach. The research came out in its conclusion with several recommendations; Including: Shepherding is the most honorable profession, the profession of the prophets and

messengers, signs of awareness, and the training school for rulers and leaders. It is also one of the most important examples of life of honesty, trustworthiness, sincerity, diligence and realization of social reform. Shepherding is a management of transportation and performance of rituals, a pillar of defense, empowerment of religion, justice, and dissemination of science and knowledge. The research recommended a number of recommendations; Among them we recommend looking at the meanings and methods of grazing in the Qur'an and Sunnah to learn more. We recommend reading Arabic literature to know the dimensions and importance of pastoralism for Arabs.

المقدمة:

الرعي من أشرف المهن وأنبهها على وجه الأرض، ومن أوائل نظم إدارة المال والأعمال، ومن أهم وأيسر طرق تنمية الاقتصاد في العالم قديما وحديثا، والرعي حرفة الطبقة العليا من شرفاء المجتمع الإنساني، فهو حرفة الأنبياء والمرسلين وما من نبي بعثه الله إلا ورعى الغنم، فالرعي بؤادر الوعي والمدرسة الأولى لتدريب الحكام والقادة المتفوقين في المعمورة، والرعي رائد في إعمار الأرض، وتنمية الموارد البشرية، ومن أهم مثل السلوكيات الحيوية المتعددة من الصدق والأمانة والإخلاص والجد، ويعد راعي الأنعام من الأغنام وغيرها وكيلا تجاريا مؤتمنا على رؤوس الأموال، فلقد كان الرعي من أهم مظاهر المعاملات التجارية عندما دبت الحياة على وجه الأرض، فكان رأس المال متمثلا في الأنعام والذهب والفضة وبعض المعادن الأخرى، فمن استطاع أن يتعامل أداريا مع بهيمة الأنعام فهو أكثر كفاءة على إدارة العقلاء من البشر، فالأنعام أمانة على أعناق البشر زلها الله مع بعضها للانتفاع بها لتحقيق غاية الإصلاح الاجتماعي، وتقويم الأداء الإنساني في طاعة الله المنعم، فكان رعي الأنعام من الإبل والخيول والبغال إسهاما مباشرا في إدارة متحركات النقل، وركيزة للدفاع، وأداء المناسك وتوفير الغذاء من الطيبات، ويعد الرعي وسيطا مهما لتمكين الدين وإقامة العدل، ونشر العلوم الشرعية والإنسانية، وبسط الأمن وتوفير أسباب الصحة، فقد كان الرعي مصدر الاقتصاد الأول لكثير من الدول وما زال يشكل الخيار الأول للثروات، و يعد قاسما مشتركا بين مصالح العباد، ولما يتمتع به الرعي وتبعاته من أهمية ومكانة بين الناس فقد أخذ حيزا كبيرا بين الأدباء من الكتاب والشعراء فتناولوه بالإعجاب ونظموا فيه الأشعار وأفوا فيه الكتب، خاصة وأن ظلال كلمة رعي تمتد إلى ما وراء إدارة الإنعام لتشمل إدارة ورعاية البشر، فكل راع مسئول عن ما استرعاه الله، ولذا نجد كلمة رعي عند الشعراء تأخذ طابعا أدبيا يمزج بين اللفظ ومشتقاته ومعانيه الاجتماعية، ولا تخلو القوافي من الإشارات إلى الرعاية الكبرى التي هي مسرح رعاية الأنعام، فقد أستعمل الشعراء معاني الرعي في مباحث البيان من المجازات والتشبيهات والكنائيات وشملت موضوعاته المدح والهجاء والذم والاستعطاف، وجاءت معاني الرعي في القرآن العظيم والسنة النبوية بصور متعددة لها دلالاتها الموضوعية المتعددة، مما أملى علينا الوقوف على تلك المعاني والموضوعات والأهداف التي وردت من أجلها، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، ولقد جاء المبحث الأول بعنوان الرعي في الشعر، والمبحث الثاني بعنوان الرعي في القرآن والسنة.

الرعي في الشعر العربي:

لقد أهتم الشعراء بكلمة الرعي وجاءت في الشعر العربي بمعاني متعددة واستعمالات مختلفة، ولمنزلة الرعي وتدابيعاته في الحياة جرى استخدام الكلمة مجاري واسعة عبرت عن موضوعات كثيرة متعلقة بواقع المجتمع الإنساني، وفي هذا المبحث نتناول تلك المعاني لنقف على الفنون الأدبية في هذا المضمار. قال الفرزدق

تلوم على أن صبح الذئب ضأنها	فألوى بكبش وهو في الرعي رانع
ألا ثمّتي يوماً على ما أتت به	صروف الليالي والخطوب القوارع
فقلت لها فيئي إليك وأقصري	فلوم الفتى سيف لوصليه قاطع
وقد مرّ حول بعد حول وأشهر	عليه ببؤس وهو طيّان جائع
وما كنت مضيعاً ولكنّ همّتي سوى	الرعي مفطوما وإذ أنا يافع ⁽¹⁾

قال أبو عبيدة كان أول شعر قاله الفرزدق، أنه كان يرمى على أمّه وهو غلام، فغفل ذات يوم عن الغنم، فأغار الذئب على غنمه فأخذ كبشاً، فلما راح إلى أمه، لا مته لوما شديداً، فأنشأ يقول أبياته آنفة الذكر، والرعي عهدة عظيمة فمن فرط فيه القي جزاءه، فهذا الشاعر أتاه لوم كلفه شعراً من أجل أن يبرئ نفسه فذكر لفظ الرعي في البيت الأول وكيف أغار الذئب علي كبش أمه، ومن أجل الذئب نصب الفرزدق راعياً ولا شك أنه غارم، ولكنه عبر عن القدر الذي وقع دون إرادته، واعتذر عن ذلك بأن الكلام الذي لاقاه في سبيل ذلك أشد من وقع السيوف القواطع، وأعاد لفظ الرعي في البيت الأخير ليثبت أنه متدرب على الرعي منذ نعومة أظفاره، أنظر إلى الرعي ومنزلته الاجتماعية عند العرب، لقد جهز الشاعر محضراً للرد والدفاع عن كرامته وأمانته حتى لا يتهم بما ضاع مما أسترعي عليه.

وتقول العرب في أمثالها (أساء رعياً فسقى) يضرب للرجل لا يحكم أمر الرعي، ثم يريد إصلاحه بسوء التدبير فيزيده فساداً، واصله أن يسيء الراعي رعي الإبل ولم يشبعها من الكلأ حتى إذا أراد أن يريحها إلى أهلها كره أن يظهر سوء أثره فيها فيسقيها الماء لتمتلئ منه أجوافها، أو أن يضيع الراعي خيار الإبل وكرامتها، حتى إذا ذهبت احتفظ بحواشيها وخساسها، كما فعل هبنقة القيسي، وكان أهله أعطوه إبلاً يراعها، فجعل يتعهد المنقيات منها، ويستهن بهزلاها، ف قيل له: هذه كانت أولى بالرعي، فقال: أكرمت ما أكرم الله منها، وأهنت ما أهان، أي إنّ ذوات الشحوم هي التي أكرمها الله، وإنّ العجاف هي التي أهانها الله.⁽²⁾

قال سعد بن مالك

فقال رأيت الأرض ليس بمُجِل	ولا سارح فيها على الرعي يَشْبَعُ
قَرَعْتُ العَصَا حتى تبيّن صاحبي	ولم تُكْ لولا ذاك في القوم تُفْرَعُ
سواء فلا جَدْب فيعرف جَدْبُها	ولا صابها عَيْتٌ غَزِير فثُمْرُع ⁽³⁾

ذكر الشاعر الرعي في البيت الأول ويريد من ذلك الحكمة ولذا قال في البيت الثاني قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لو لا ذاك في القوم تفرع، ثم أردف بالبيت الثالث ليؤكد معنى الرعي بقوله: سواء فلا جَدْب فيعرف جَدْبُها ولا صابها عَيْتٌ غَزِير فثُمْرُع، وقرع العصا من أمثال العرب.

قال الراعي :

وأما مصابُ الغادياتِ فإننا
وَمِنَعَكُمْ مَسْتَنْ كُلَّ سَحَابَةٍ
دعاهنَّ داعٍ للخريفِ ولمْ تكنْ
وَبَرَدَ النَّدى وَالجزءَ حتى يغيرَكُمُ
وَكُنَّا أَناساً نعترينا حفيظةً
على الهولِ نرعاهُ ولوْ أنْ نقارِعَا
مصابَ الربيعِ يتركُ الماءَ ناقِعَا
لهنَّ بلاداً فانْتجعنَ روافِعَا
خريفُ إذا ما النسْرُ أصبحَ واقِعَا
فنحْمِي إذا ما أصبحَ الثغرُ ضائِعَا⁽⁴⁾

ذكر الشاعر أنهم يرعون ماء المطر الغاديات في قوله نرعاهُ ولوْ أنْ نقارِعَا أي نحارب في الهول والصعاب، وفي هذا القول (نرعاه) مجاز مرسل لأن الماء يشرب ولا يريعى إنما الرعي يكون للكلاً، والماء هو السبب في إنبات العشب والكلاً، ولذلك ذكر الشاعر السبب ويريد المُسبب، فعلاقة المجاز المرسل هنا السببية، وكانت العرب تجرد السيوف من أجل الماء والكلاً حتى لا تهلك أموالهم من الأنعام.

قال أبو الفضل جعفر بن أشرف

ومن كان الوزير له ظهيراً
بحيث الرعي في أحوى أحم
وحلم أوسع الدنيا وقاراً
يجلي حادث الدنيا بوجه
أضاء بوجهه أفق الدياجي
يسم راعيه في حي لقاح
وحيث الورد في شيم قراح
وقد خفقت له خفق الجناح
كأن جبينه فلق الصباح
وقام بكفه علم النجاج⁽⁵⁾

يقول الشاعر من وجد إعانة الوزير الحاكم وكان له ظهيرا ومساعدوا ومعاونوا فإنه يسم من هو تحته من رعاياه ويجعل له علامة وتمييزا من الجود والعطاء لأنه ذكر بعد ذلك أبياتا هي من أروع ما قيل في المدح انظر إلى قوله: يجلي حادث الدنيا بوجه كأن جبينه فلق الصباح، أضاء بوجهه أفق الدياجي وقام بكفه علم النجاج، فالرعي لغرض المدح، فالرعي مستعمل للمدح.

قال طرفة بن العبد

أَعْمَرَ بَنَ هِنْدٍ ما ترى رَأْيِي صِرْمَةً
وكان لها جاران، قابوسُ منهما
رَأَيْتُ القَوافي يَتَلَجَّنَ مَوالِجاً
لها سَبَبٌ ترعى به الماءَ والشَّجْرَ؟
وعَمُرُوْ ولمْ أَسْتَرعها الشَّمْسُ والقَمْرُ
تَصَيَّقُ عنها أنْ تَوَلَّجها الإِبْرُ⁽⁶⁾

قال طرفة بن العبد مخاطبا عمرو بن هند وهو من ملوك العرب، و قد لجأ إليه لفترة من الزمن عندما ضاعت بعض إبله وكان طرفة قد أضاعها فسأله أخوه معبد بن العبد أن يردها بشعره، فقال الأبيات آنفة الذكر مخاطبا عمرو بن هند ومادحا له عندما قال: كان لهما جار انقابوس منهما وقابوس أخو عمرو بن هند، والجار الثاني عمرو بن هند نفسه، وقوله لمْ أَسْتَرعها الشمس والقمر أي لم أجعلكما أنت وأخيك حاميان لها لأنه لا حاجة إلى ذلك، لأن من شيمهما العدل والإحسان إلى الجار ولذلك قال الشمس والقمر، فكلمة الرعي استعملت للمدح والاستعطاف.

قال لبيد بن ربيعة العامري

كُبَيْشَةَ ُ حَلَّتْ بَعْدَ عَهْدِكَ عَاقِلًا وَكَانَتْ لَهُ حَبَلًا عَلَى النَّأْيِ خَابِلًا
تَرَبَّعَتِ الْأَشْرَافَ نَمَّ تَصَيَّفَتْ حَسَاءَ الْبَطَاحِ وَانْتَجَعْنَ الْمَسَايِلَا
تَخَيْرَ مَا بَيْنَ الرِّجَامِ وَوَاسِطِ إِلَى سِدْرَةِ الرَّسِينِ تَرَعَى السَّوَائِلَا⁽⁷⁾

قال لبيد يصف الرحلة والناقة وحيوان الصحراء، فيذكر الأطلال والأماكن، فعاقل اسم لجبل والخبل كل ما يصيب المرء من حزن فيفسد عليه أمره، والأشراف اسم لموضع وتربعت أي أقامت وقت الربيع، وتصيقت أي أقامت وقت الصيف، و الحساء أعداد المياه، والرجام اسم لموضع، و واسط ماء تشرب منها بنو كلاب، والرسين موضع تسكنه والسدر جمع السدر وهو نوع من الشجر، يقول ترعى السوائل بعد أن قصدت المسائل من مجاري المياه، وهذا مجاز مرسل لأنه ذكر السوائل من المياه التي هي سبب في إنبات العشب الذي ترعاه الأنعام، لأن السوائل لا تأكل وإنما تشرب والرعي معناه أكل الكلاً، فالشاعر ذكر السبب وأراد المسبب فالمجاز مرسل علاقته السببية.

قال ذو الإصبع العدواني

إني لعمرك ما باني بذني غلق عن الصديق ولا خيري ميمنون
ولا لساني على الأذني منطلي بالفاحشات ولا فتكي مأمون
عف يؤوس إذا ما خفت من بلد هونا فلست بوقاف على الهون
عني إليك فما أمي براعية ترعى المخاض وما رأيي بمغبون⁽⁸⁾

ذكر الشاعر الرعي في البيت الأخير بقوله فما أمي براعية ترعى المخاض، والرعاية هنا معنوية وهي رعاية الشرف والكرامة، لأنه مدح نفسه في سابق الأبيات بصفات الكرم وعفة اللسان والترفع عن الفاحشة، وعدم غشيان مواطن الهوى وكذلك أمه تهتم بدنايا الأخلاق.

قال بشار بن برد

أذكر إذ ترعى على الحي شاءهم وأنت شريك الكلب في كل مطعم
وتلحس ما في القعب من فضل سوره وقد عاث فيه باليدين وبالقم⁽⁹⁾
الشاعر يهجو خصمه ويصفه بأنه راع شاة ولكنه يشارك الكلاب مآكلها ويأكل فضلاتها مهما كانت وضيعة، فالشاعر يذكر المهج و بأنه راع مع الكلب بعد الذي يتبع الغنم، فاكتسب بعض دناءة الكلاب حتى أصبح شريكا لها، فالرعي للذم والهزاء والتحقير.

قال الشاعر

أخبرت ما قالت، فبت كأنها يرمى الحشا بنوافذ النشاب
أسعيد، ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وطيب شراب
بالذ منك، وإن نأيتو قلما ترعى النساء أمانة الغياب
فبقيت كالمهريق فضلة مائه في حر هاجرة للمع سراب⁽¹⁰⁾

ذكر الشاعر الرعي مقترنا بالنساء بقوله وقلما ترعى النساء أمانة من يغيب لأن الشاعر كان يرجو وصلا منهن ولكنه يأس فقال فبقيت كالمهريق فضلة مائه في حر هاجرة للمع سراب، ونجد الشاعر يستخدم

كلمة أمانة، و يظهر من ذلك أنه يطالب بحق مكفول، ولذا من معاني الرعي هنا الحفاظ على الأمانة وصون حقوق الآخرين معنويا.

قال الفرزدق

ترعى الزعانف حولنا بقيادها

في جفيلٍ لجبٍ كأنَّ سَعَاهُ

وعدوهنَّ مروحُ التَّشَلالِ

جبل الطرارة مضعضع الأميال⁽¹¹⁾

ذكر الشاعر الزعانف وهم التَّبَاع والضعفاء من الناس والواحد زعنفة، يقول ترعى الزعانف حولنا آمنين ومطمئنين، وعدو الخيل والفرسان يحمل الناس على أن يطردوا نعمهم فيهربوا منهم والشل الطرد، وأراد الشاعر بذلك الفخر فجاء الرعي بصورة الكناية.

قالت ليلى الأخيلية

سيتملني ورحلي ذات لوث

إذا جعلت سواد الشام دوني

فليس بعائد أبداً إليهم ذو

إذاً لعلمت واستيقنت اني

مشيعة ولم ترعى ذمامي⁽¹²⁾

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأة بدوية فانكرها فقال: من أنت قالت أنا الواله الحري ليلى الأخيلية، قال أنت التي تقولين: أريقت جفان ابن الخليع فأصبحت حياض الندى زالت بهن المراتب، فغفاؤها لهفي يطوفون حوله كما انقض عرش البئر والورد عاصب، قالت أنا الذي أقول ذلك، قال فما أبقيت لنا، قالت ما أبقى الله لنا نسباً ونشياً وعيشاً رخيلاً وامرة مطاعة، قالت أفردته بالكرم قالت أفردته بما أنفرد به، فقالت عاتكة لعبد الملك قد جاءت تستعين بنا عليك لتسقيها وتحمي لها ولست ليزيد ان شفعتها في شيء من حاجتها لتقدمها اعرابياً جلفاً جافياً على أمير المؤمنين، قالت فوثبت ليلى فجلست على راحلتها وقالت الأبيات آنفة الذكر، إنما ذكرت عدم رعاية أمير المؤمنين لذمتها لشيء في نفسه، فكان ذكر الرعي لذم الوالي لأنها ذكرت قبل ذلك قولها إنها بنت آباء الكرام، وقد اغلق باب اللثام دونها وبذلك أغلق باب من أبواب جبر الخواطر، فليس هنالك مأمول يطلبه ذوو الحاجات الذين يطرقون أبواب الكرماء ليلا سترًا لحالهم.⁽¹³⁾

قال زهير بن أبي سلمى

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد

فاستبدلت بعدنا داراً يمانية

إن البخيل ملوم حيث كان ولكن

الجواد على علاقته هرم⁽¹⁴⁾

يقول الشاعر عهدي بهم يوم باب القريتين في طريق مكة كانت القبيلتي طسم وجديس، والهماليح جمع الهملاج، وهي الدابة يكون في سيرها سرعة، ويريد بها الأبل، يقول استبدلت بعدنا دارا يمانية ناحية اليمن ترعى الخريف وأقرب ديارها منا جبل ظلم، والشاعر أراد الوصف والمدح، وقوله ترعى الخريف مجاز مرسل وهو يعني ترعى العشب الذي يكون في فصل الخريف، فالشاعر أطلق الزمان وأراد المتزامن وهو العشب أو الكلاً لوجودهما في فصل الخريف بسبب ما ينزل من مياه الأمطار فيكون سببا في إنبات الكلاً، والمجاز علاقته الزمانية.

قال قيس بن الحدادية الخزاعي:

فإن تلقين أسماء، يوماً، فحيهاوسل كيف ترعى، بالمغيب، الودائع
 فظني بها حفظ لغيب، ورعيةً لما استرعت، والظن بالغيب واسع
 وقد يحمد الله العزاء، من الفتى وقد يجمع الأمر، الشتيت، الجوامع⁽¹⁵⁾
 يقول الشاعر سل أسماء كيف تؤدي ودائع وحقوق وأمانات الغائب، ثم يقول وظني بها أنها تحفظ
 الغيب وترعى ما استرعتها من أمانتي، فالرعي لحسن الظن وصدق النوايا، ثم ختم الشاعر بقوله وقد يحمد
 الله العزاء من الفتى وقد يجمع الأمر الشتيت الجوامع، فالرعي معنوي يعالج واحدة من ظواهر المجتمع
 الإنساني وهو غياب رب الأسرة عن أسرته.

وقالت الخنساء:

كأنّ دمعِي لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدار
 فالعين تبكي على صخر وحق لها ودونه من جديد الأرض أستاذ
 بكاء والهة ضلّت أليفتها لها حنينان إصغار وإكبار
 ترعى إذا نسيت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار⁽¹⁶⁾
 تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر أنها بكت عليه بكاء ملهوفة من شدة الحزن ضيعت من تألفه
 فهي ترفع صوتها وتخفضه بالبكاء فهو الإصغار والإكبار، ثم تكون تلك الوالهة في الرعي إذا نسيت فإذا
 تذكرت فارقت المرعى بحثاً عن مفقودها فهي في تردد بين جيئة وذهوب كلما عاودها الحنين، لقد شبهت
 الخنساء حالها في فقدتها أخيها بتلك الوالهة من الأنعام، فقد تشابهت مواقفهما في الفقد والمصيبة، فما تنفك
 الخنساء في حزن متى ما تذكرت صخرًا بعد النسيان، والمعنى فيه تشبيه، أي تبكي عين الخنساء بكاء والهة
 فقدت أليفتها، فالمشبه العين وأداة التشبيه محذوفة والمشبه به الوالهة ووجه الشبه الفقدان والحنين،
 فالتشبيه مرسل مفصل، ولكن وجه الشبه الأكبر الناتج عن الحنين هو قول الشاعرة: ترعى إذا نسيت حتى
 إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار، فهذه صورة للتشبيه المركب المنتزِع من متعدد، ويعد وجه الشبه بين
 الخنساء وهيئتها الحزينة وبين والهة الأنعام وذكرها الحنينة.

قال أبو نواس

ما بال قلبك لا يقر خفوقاً وأراك ترعى النجم والعيوقا
 وجفون عَيْنك قد نثرن من البكا فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا
 لو لم يكن إنسان عَيْنك سابحا في بحر دمعته لمات غريقاً⁽¹⁷⁾
 يقول الشاعر ما بال قلبك لا يقر الخفقان، وأراك ترعى النجوم، فالرعاية معنوية لأن النجوم في
 السماء وهذا مطلب بعيد المنال من الجهة المادية، ولكنه هنا كناية عن السهر لأن البيت التالي يفسر ذلك
 وهو قول الشاعر: وجفون عَيْنك قد نثرن من البكا فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا، فالبكاء والحزن هو سبب ذلك،
 والتورية في البيت الأخير أكملت المعنوم لم يكن إنسان عَيْنك سابحا في بحر دمعته لمات غريقاً.

قال الشاعر

ما القوس إلا عصاً في كف صاحبها ترعى بها الضأن أو ترمي بها البقر

أو عود بارٍ وإن كانت مثقفةً حتى يضمَّ إليها السهم والوتر
فإن تجمَّع هذا فهي بعد عصاً حتى يصادف من يرمي بها القدر⁽¹⁸⁾

ذكر الشاعر القوس وعده من العصي مما ترعي به الضأن والبقر، ويظل عودا بوظيفة العصا حتى تضم إليه السهم والوتر ليكون آلة نافعة، ثم يقول يظل ذلك القوس (وهو مكتمل) عصا حتى يصادف راميا حاذقا يرمي به القدر وهذا من المستحيل، والمعنى أن القوس يظل عصي لأن ما يصيبه من هدف هو من تقدير الله وليس من عند القوس، والرعي في الأبيات جاء في معناه المادي الحقيقي. يتأكد لنا في آخر هذا البحث أن الرعي جاء بمعاني متعددة شملت: المعنى المادي، والأمانة، الحكمة، والكرامة، والاقتتال، وإدارة المال، والأخلاق الحسنة، والعفة، وصون الحقوق، وجبر الخواطر، وقضايا الأسرة، والستر، والمحال، وشملت موضوعات الرعي: المدح، والاستعطاف، والفخر، والهجاء الذم، والوصف، واكتسب لفظ الرعي صورا بيانية منها: التشبيه، والتورية، والمجاز، والكناية.

الرعي في القرآن الكريم والسنة النبوية:

وردت كلمة الرعي في القرآن والسنة بمعاني متعددة وموضوعات كثيرة تصب في مجملها في ترقية الحياة الإنسانية، وتعمل على تثبيت مفاهيم الإسلام في المجتمعات البشرية، وفي هذا البحث نقف عند تلك الأساليب والمعاني لبنين استخدامات كلمة الرعي في القرآن والسنة ونبدأ أولا بالقرآن الكريم. قال الله تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)⁽¹⁹⁾، جاء في معنى الآية: وأصل التسريح، منسرح القوم وهو ما أطلق من نَعْمهم للرعي يقال للمواشي المرسله للرعي هذا سرح القوم يراد به مواشيهم المرسله للرعي، وحين تسرحون، حين ترسلونها للرعي فقيل للمرأة إذا خلاها زوجها فأبانها منه: سرحها، تمثيلا لذلك ب«تسريح» المسرح ماشيته للرعي، وتشبيها به⁽²⁰⁾. فالرعي بمعنى مراقبة المال والحفاظ عليه بالسرحة.

قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)⁽²¹⁾، معنى الآية: أي: لكم منه ما تشربون وشجر فيه تسيمون الشجر الذي ترعاه المواشي، وفي حديث عكرمة: لا تأكلوا من الشجر فإنه سحت، يعنى الكلاء تُسِيمُونَ من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة، وأسامها صاحبها، وهو من السومة وهي العلامة، لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض⁽²²⁾. وتسيمون أي ترعون فالرعي لصون الثروة وهذا أصل المعنى.

قال تعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)⁽²³⁾، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنَّ مُوسَى لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ فَلَمَّا فَرَّغُوا أَعَادُوا الصَّخْرَةَ عَلَى الْبَيْرِ، وَكَانَ لَا يُطَبِّقُ رَفْعَهَا عَنِ الْبَيْرِ إِلَّا عَشْرَةَ رِجَالٍ، وَإِذَا هُوَ بِامْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا خَطْبُكُمَا؟ فَقَالَتَا: لَا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَسْقِيَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَرَفَعَ مُوسَى الْحَجَرَ وَحَدَّهُ، فَلَمْ يَسْتَقِ إِلَّا دَلْوًا وَاحِدًا حَتَّى رُوِيَ الْعَنَمُ⁽²⁴⁾. والرعا من يتواصون ويتعاهدون أموالهم بالسقيا للحفاظ على ثروتهم.

قال الله تعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ عَنَمٌ الْقَوْمِ)⁽²⁵⁾، معنى الآية: عَنْ مَسْرٍ وَقَالَ: كَانَ حَرْثُهُمْ عَنَبًا فَتَفَشَّتْ فِيهِ الْعَنَمُ لَيْلًا أَيْ دخلته ورتعت، فَقَضَى بِالْعَنَمِ لَهُمْ فَمَرُّوا عَلَى سُلَيْمَانَ

فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَرَدَّهُمْ إِلَى دَاوُدَ فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ فَأَخْبَرُوهُ، قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَقْصِدُ بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ لَبْنُهَا وَصُوفُهَا وَسَمْنُهَا وَمَنْفَعَتُهَا، وَيَقُومَ هَؤُلَاءِ عَلَى عَنَبِهِمْ حَتَّى إِذَا عَادَ كَمَا كَانَ رَدُّوا عَلَيْهِمْ عَنْهُمْ⁽²⁶⁾. ومعنى النفس الرعي ليلا وجاء هنا بمعنى سلب حقوق الآخرين.

قال الله تعالى: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)⁽²⁷⁾، جاء في معنى الآية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: عصا موسى أعطاه إياها ملك من الملائكة إذ توجه إلى مدين، فكانت تضيء له بالليل، ويضرب بها الأرض فيخرج له النبات، ويهش بها على غنمه ورق الشجر ويتوكأ عليها إذا مشى مع غنمه ويضرب بها الشجر فيتساقط منه الورق على غنمه⁽²⁸⁾. يهش ويرعى غنمه صونا وحفظا لها وشكرا لله على رزقه.

قال الله تعالى: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)⁽²⁹⁾، معنى الآية: زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ، أي بما جعل في طباعهم من الميل إلى هذه الأشياء والشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس إلى الشيء، والقناطر جمع قنطار والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض، والخيل المسومة هي الراعية، يقال أسمت الماشية وسومتها إذا رعيتها، والأنعام جمع نعم من الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المهيأة للزراعة، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يعني ما ذكر من هذه الأشياء، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ أي المرجع⁽³⁰⁾. فكلمة مسومة أي راعية والآية جمعت ثروات الأرض كلها فمنها الذهب والفضة والزرع، وما تبقى ما يدار بالرعي وهي الأنعام وهذا هو اقتصاد الدنيا قديما وحديثا وهو في الماضي أبلغ.

قال تعالى: (وَإِلَى هَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ)⁽³¹⁾، معنى الآية: وَإِلَى هَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا وَهُوَ هَمُودٌ بِنُ عَابِرِ بْنِ إِرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَأَرَادَ هَاهُنَا الْقَبِيلَةَ، سُمِّيَتْ هَمُودٌ لِقَلَّةِ مَائِهَا، وَالشَّمْدُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَكَانَتْ مَسَاكِينُهُمْ الْحَجَارَ بَيْنَ الْحَجَارِ وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقُرَى أَخَاهُمْ صَالِحًا أَي: أَرْسَلْنَا إِلَى هَمُودٍ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ، وَهُوَ صَالِحٌ بِنُ عَبِيدِ بْنِ آسَفِ بْنِ مَاسِحِ بْنِ عَبِيدِ بْنِ خَادِرِ بْنِ هَمُودٍ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى صِدْقِ، هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ أَضَافَهَا إِلَيْهِ عَلَى التَّفْضِيلِ وَالتَّخْصِصِ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ، الْعُشْبَ، فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ، لَا تُصِيبُوهَا بِعَفْرِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ⁽³²⁾. الرعي للتحذير من المساس بحدود الله تعالى.

قال تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)⁽³³⁾، معنى الآية: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ رد وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها، فلا تركب ولا تحلب، وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لألتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنتى أخاها فلا يذبح لها الذكر، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا: قد حمي ظهره، ومعنى ما جعل ما شرع ووضع، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بتحريم ذلك ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى. وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والأمر

من الناهي، ولكنهم يقلدون كبارهم ومنهم من يعرف بطلان ذلك، ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به⁽³⁴⁾. الرعي في الآية لتحقيق التوجهات العقدية فتلك الأنعام تترك ترعي بلا مساس بحسب اعتقادهم الموروث من الآباء.

قال تعالى: (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ) (*) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ⁽³⁵⁾، معنى الآية: أَي إِذْ عَرَضَ عَلَى سُلَيْمَانَ فِي حَالِ مَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِهِ الْخَيْلَ الصَّافَاتِ، وَهِيَ الَّتِي تَقْفُ عَلَى ثَلَاثٍ وَطَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِ، وَالْجِيَادُ: السَّرَاعُ، كَانَتْ عَشْرِينَ فَرَسًا ذَاتَ أَجْحَةٍ، وَقِيلَ عَشْرُونَ أَلْفَ فَرَسٍ فَعَقَرَهَا، وَقَوْلُهُ: إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، أَنَّهُ اشْتَعَلَ بِعَرَضِهَا حَتَّى قَاتَ وَفَتْ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالَّذِي يُفْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا عَمْدًا بَلْ نَسِيَانًا كَمَا شَخَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَن صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ⁽³⁶⁾. فالخيل التي عرضها نبي الله سليمان فشغلته عن الصلاة فإنها عدة الجهاد ولا تحفظ إلا بالتأصيل لها بالرعي فهي من كرائم الأموال.

في الأسطر التالية نقف على معنى الرعي في السنة النبوية: عَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرَضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ⁽³⁷⁾. فالراعي الذي يرعى حول الحمي فإنه يحتاج إلى القيام بمهمته بدقة عالية حتى لا يتعدى على حدود الغير، والرعي هنا بمعنى صون حدود الله والمحافظة عليها ولذا جاء مضرًا للمثل وتقريب المعنى.

عَنْ أَبِي خَدَّاشٍ قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَتَزَلَّ النَّاسُ مَنزِلًا فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ وَمَدُّوا الْحَبَالَ عَلَى الْكَلْبِ، فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعُوا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَوَاتٍ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلْبِ وَالنَّارِ⁽³⁸⁾. فشراكة الناس في الكلب لأنه الغذاء الذي تعيش عليه الأنعام والدواب ومنها يستفيد الإنسان ويحافظ على وجوده.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، إِذْ نَزَلَ مَنزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ حِجَابَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَاقِبَتُهَا فِي أَوْلِيهَا، وَإِنْ آخِرُهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَتَرَى يُرْفَقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فَتَنْتَهُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَهُ أَنْ يَرْحُزَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَمِينِهِ، وَمَرَّةً قَلْبِهِ فَلْيُطِيعْهُ، مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يُنَازِعُهُ، فَاصْرَبُوا عُنُقَ الْآخِرِ »، قَالَ: فَأَدَخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَدْنِيهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ أَدْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي⁽³⁹⁾. يكون في جسرهِ أي في رعاية إبله وغنمه وما يحتاج إلى رعاية من

الدواب، وورود الرعي هنا لبيان أحوال الناس وحاجتهم للرعي الذي هو جزء من حياتهم الاقتصادية والتجارية والاجتماعية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرَعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»⁽⁴⁰⁾. فرعي الغنم جزء من التدريب على تحمل المسؤولية وكسب ثقة الناس بالصدق والأمانة والسيرة الحسنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نَخْلُقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِفْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ، فَقَالَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِدَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذَّنْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَهُ اسْتَنْقَدَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذَّنْبُ هَذَا: اسْتَنْقَدْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذَنْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِدَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلُهُ⁽⁴¹⁾. والرعي لبيان منزلة صدق الراعي فإذا غابت الأمانة عن الراعي تسلطت العوافي على الأملاك من الأنعام، وأول ما يرفع من الدين الأمانة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، فَكَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ⁽⁴²⁾. رعاية العبد لمال سيده من الأنعام وغيرها من مطالب الدين الحنيق وهو من أعظم الأمانات.

من خلال وقوفنا على الرعي في القرآن والسنة نجد الرعي جاء بالمعاني التالية: مراقبة المال وتنميته والحفاظ عليه، الأمانة، وصون الثروات، وشكر الخالق المنعم، والتدريب على تحمل المسؤولية، وكسب ثقة الناس، صورة اقتصاد الدنيا قديماً، والاهتمام بكرائم الأموال، وسلب الحقوق، والتحذير من المساس بحدود الله، وصون التوجهات العقدية، ومضرب للأمثال وبيان المعنى، وشراكة الناس في الكلأ من أسباب الحفاظ على رأس المال ومقاصد التجارة، وحفظ العبد لمال سيده من مطالب الدين.

الخاتمة:

إن الرعي من أشرف المهن، فهو حرفة الأنبياء والمرسلين، ومن بؤادر الوعي والمدرسة الأولى لتدريب الحكام والقادة، ومن أهم المثل الحيوية من الصدق والأمانة والإخلاص والجد، ومن أوائل نظم إدارة المال والأعمال وتنمية الاقتصاد في العالم القديم، وإعمار الأرض وتنمية الموارد البشرية، والراعي وكيل تجاري مؤمن على رؤوس الأموال، المتمثلة في الأنعام والذهب والفضة وبعض المعادن، والرعي تحقيق للإصلاح الاجتماعي، وتقويم الأداء الإنساني في طاعة الله المنعم، وإسهام مباشر في إدارة متحركات النقل، وركيزة للدفاع، وأداء المناسك، وتوفير الغذاء من الطيبات، ويعد الرعي وسيطاً مهماً لتمكين الدين وإقامة العدل، ونشر العلوم الشرعية والإنسانية، وبسط الأمن وتوفير أسباب الصحة، وجاء الشعر العربي بمعاني متعددة للرعي شملت: المعنى المادي، والأمانة، والحكمة، والكرامة، والافتتال، وإدارة المال، والأخلاق الحسنة، والعفة، وصون

الحقوق، وجبر الخواطر، وقضايا الأسرة، والستر، والمحال ومالا يدرك، وشملت موضوعات الرعي: المدح، والاستعطاف، والفخر، والهجاء والذم، والوصف، واكتسب لفظ الرعي صورا بيانية منها: التشبيه، والتورية، والمجاز، والكناية، ومن خلال وقوفنا على الرعي في القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد إن الرعي جاء بمعاني متعددة منها: مراقبة المال وتنميته والحفاظ عليه، وإثبات الأمانة، وصون الثروات، وشكر الخالق المنعم، والتدرب على تحمل المسؤولية، وكسب ثقة الناس، والاهتمام بكرائم الأموال، والتحذير من المساس بحدود الله وسلب الحقوق، وصون التوجهات العقدية، ومضرب للأمثال وبيان المعنى، وتعد شراكة الناس في الكلاً من أسباب الحفاظ على رأس المال ومقاصد التجارة، وحفظ العبد لمال سيده من مطالب الدين، ومنع الرعي من تضييع حقوق الآخرين.

أهم النتائج:

الرعي أشرف المهن وحرقة الأنبياء والمرسلين وبوادر الوعي ومدرسة تدريب الحكام والقادة. الرعي من أهم مثل الحياة من الصدق والأمانة والإخلاص والجد وتحقيق للإصلاح الاجتماعي. من أوائل نظم إدارة المال والأعمال وتنمية الاقتصاد وإعمار الأرض وتنمية الموارد البشرية. الرعي إدارة للنقل وأداء المناسك وركيزة للدفاع وتمكين الدين العدل، ونشر العلوم والمعارف. في الدين والأدب دارت صور الرعي في المعنى المادي، وتنمية المال، والأمانة، والمسئولية، وصون حدود الله، والتوجهات العقدية، والأمثال والشراكة في الكلاً، والحكمة، والكرامة، والاقتتال، والأخلاق الحسنة، والعفة، وجبر الخواطر، وقضايا الأسرة، والستر، والمحال. شملت موضوعات الرعي: المدح، والاستعطاف، والفخر، والهجاء، والوصف، واكتسب لفظ الرعي صورا بيانية منها: التشبيه، والتورية، والمجاز، والكناية.

التوصيات:

- نوصي بالوقوف على معاني الرعي وأساليبه في القرآن والسنة لمعرفة المزيد.
- نوصي بالإطلاع على الأدب العربي لمعرفة أبعاد وأهمية الرعي عند العرب.
- نوصي بالإهتمام بالرعي لدفع عجلة الاقتصاد في المجتمع والدولة.

الهوامش:

- (1) أمين الدولة محمد بن محمد الطرابلسي، المجموع الليفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص454
- (2) أبو الفضل أحمد النيسابوري، مجمع الأمثال، ت. محمد محي الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج1ص37
- (3) عبدالله عبد الجبار، عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص286
- (4) محمد بن مبارك البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1999م، ص248
- (5) عبد الرحمن بن عبد الله درهم، نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، دار العباد بيروت، بدون تاريخ، ص119
- (6) ديوان طرفة بن العبد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- دار الثقافة والفنون، 2000م، ص37
- (7) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1999م، ص72
- (8) المفضل بن محمد الضبي، ت ش أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، بدون تاريخ، ص160
- (9) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ ج1ص166
- (10) عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ ص288
- (11) ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تالكرنكوي، اليماني، الدائرة العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1949م، ج2ص952
- (12) أبو الفضل أحمد طيفور، بلاغات النساء، ص وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، 1908م، ص147
- (13) المرجع السابق
- (14) محمد بن يزيد المبرد، ت محمد أبو الفضل، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1997م، ج3ص19
- (15) علي بن الفضل، الأخفش الأصغر، الخيارين، ت فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1999م، ص226
- (16) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ ج3ص224
- (17) عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الأمالي، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م، ص99
- (18) عبد الملك الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ت عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ص295
- (19) سورة النحل، الآية 5
- (20) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ ج5ص11
- (21) سورة النحل، الآية 10
- (22) منصور محمد السمعي، تفسير السمعي، ت ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، 1997م، ج3ص162

- (23) سورة القصص، الآية 23
- (24) مجاهد بن جبر المخزومي، تفسير مجاهد، ت محمد أبو النيل، دار الفكر الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ ص526
- (25) سورة الأنبياء، الآية 78
- (26) عبد الرزاق الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، ت محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ ج2 ص389
- (27) سورة طه، الآية 18
- (28) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ت أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، 1419هـ ج7 ص2419
- (29) سورة آل عمران، الآية 14
- (30) علي الواحدي، التفسير الوسيط، ت (مجموعة من المحققين) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1415هـ ج1 ص418
- (31) سورة الأعراف، الآية 73
- (32) الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث، بيروت، ط الأولى، 1420هـ ج2، ص206
- (33) سورة المائدة، الآية 103
- (34) عبد الله بن عمر البضاوي، تفسير البضاوي، ت. المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، 1418هـ ج2 ص146
- (35) المرجع نفسه، ص 32-31
- (36) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ ج7، ص64
- (37) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3 ص1219
- (38) الحارث بن محمد، مسند الحارث، ت حسين الباكري، مركز السنة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413هـ ج1 ص508
- (39) ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي الحلبي، تاريخ النشر، ج2، ص1306
- (40) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت محمد ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ ج3 ص88
- (41) المرجع السابق، ج4، ص174
- (42) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص130